البريد الثقافي

طواحين عواد في "طواحين بيروت"

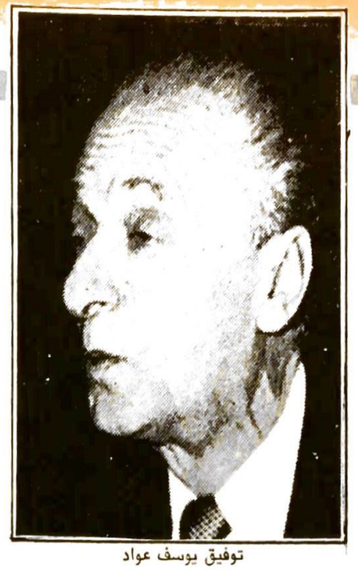

توفيق يوسف عواد

رواية « طواحين بيروت » لتوفيق يوسف عواد ، يعرفها طلاب اللغة الانكليزية وآدابها ، السنة الثانية في الجامعة اللبنانية ، اذ ان هذه الرواية تأتي في البرنامج المقرر ، ضمن مادة اختيارية اسمها « الادب العربي المعاصر » • لماذا « طواحين بيروت » وليس غيرها من القصص وضعت بين ايدي الطلاب للدرس والتحليل ، وهل هناك هدف اخر من تدريسها ، غير الهدف الظاهري العام ، الا وهو الالمام بفن النقد والتحليل ؟؟؟ لعله من المفيد ان نلقي نظرة سريعة على ظروف كتابة الرواية ، قبل الغوص في البحث عن الافاق والاهداف الحقيقية لهذه الرواية •

عواد ضد الجيل الجديد !

تحدث توفيق عواد عن ظروف روايته فقال : « لقد كتبتها في طوكيو عام ١٩٦٨ ، وهي السنة التي اشتعلت فيها الحركة الطالبية في بيروت ، وانطلقت الدعوة في اكثر الصحف والاندية الى الثورة ، وهي ايضا السنة التي ضربت فيها « اسرائيل » مطار بيروت الدولي ، ولهذه الاحداث اهمية كبرى في الرواية » •

اذن ومن البداية ، المواقف واضحة جلية ، كما جاءت على لسان المؤلف : ثورة الطلاب لتعديل المناهج البالية ، تصاعد النقمة على نظام الحكم الفاسد ، نمو الحركة الوطنية اللبنانية ، والالتفاف الجماهيري الرائع حول الثورة الفلسطينية ، والاعتداءات « الاسرائيلية » المتكررة على الاراضي اللبنانية ، ومن ضمنها الاغارة على مطار بيروت الدولي ، هذه هي المواد الاساسية التي استمد منها توفيق عواد مادة روايته ، والتي ذهب ليعالجها بعيدا عن ضجيج بيروت ، وعن صراخ طلابها ، بل وبعيدا عن اجواء المنطقة كلها ، اجل ، لقد ذهب الى طوكيو ليكتب من هناك عن ثورة الطلاب في بيروت ، وعن نمو الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، لانه – في المنظور البرجوازي – يجب ان تتهيأ الظروف الهادئة والملائمة للفنان حتى يبدع !!!

ولندع جانبا تحليل شخصيات الرواية ، وحبكها ، وتسلسل احداثها وعقدتها ، ولنأخذ موضوعين ، اثنين ليكونا محور اهتمامنا في هذه الدراسة ، الا وهما : نظرة المؤلف للجيل الجديد ، ثم نظرته للثورة الفلسطينية او بالتحديد للعمل الفدائي كما جاء في الرواية :

« – اين هو الجيل الجديد ؟ بالسينمات والستريوهات • الى اين نروح مع جيل الهيبيين والميني جيب » •

هذه هي نظرة المؤلف نحو الجيل الجديد في بداية روايته ، نظرة سطحية للغاية ، يصور فيها الجيل الجديد وكأنه غارق حتى اذنيه في السينمات والستريوهات ، مندفع وراء الموضة بكل جوارحه ، متناسيا واجباته الوطنية ، التي كان ، وما يزال يرفع لواءها ، ويناضل تحت رايتها على جميع الاصعدة ، وفي جميع الامكنة ، في الجامعات والمدارس ، وعلى الحدود ضد العدو « الاسرائيلي » ، وفي شوارع بيروت وصيدا وصور وطرابلس متظاهرا ، مطالبا بحقوقه المشروعة •

وتستطرد قدما في الرواية ، مرورا بمظاهرات الطلاب واشتباكهم مع قوات الامن ، واذا بالمؤلف يطرح علينا ، وعلى لسان احد ابطاله ما يلي :

« صرنا الى زمان مختلف ، وعقائد سياسية لا عد لها بين يمين ويسار • هذه عقائد لا لزوم لها ، يجب وضعها على الرف • سؤال واحد تطرحه علينا اسرائيل : هل نكون ، او لا نكون » •

ما هذا التناقض العجيب الغريب في آن واحد ؟؟!!؟ فمن جهة يطلب الينا توفيق عواد ان نضع العقائد السياسية على الرف ، ومن جهة ثانية يريدنا أن نواجه التحدي الاسرائيلي ؟ كيف بالله ايها الكاتب المبدع تريدنا ان نواجه اسرائيل ؟؟ امن خلال الانظمة العفنة الممتدة من محيط الوطن العربي الى خليجه ، ام من خلال الاذاعات والتلفزيونات ، وعلى صفحات الجرائد ؟ ثم ما هذه الدعوة الرخيصة التي يعرضها علينا الكاتب بأن نطرح جانبا جميع العقائد السياسية؟؟ الا تدرك ايها العبقري الهارب الى طوكيو ان مواجهة اسرائيل لا ولن تكون الا عبر وجود الاحزاب والعقائد الثورية الجذرية التي تصهر في بوتقتها كل الفقراء والمعوقين ؟؟ الا تعي يا كاتبنا العظيم بأن الجيل الجديد الذي تصفه بجيل الميني جيب وجيل الخنافس قد بدأ يدرك حقيقة ان العقائد الثورية هي الطريق الوحيد للخلاص من انظمة الحكم الفاسدة في طول الوطن العربي وعرضه ؟؟ الم تسمع عن ثورة الطلاب في الوطن المحتل وفي جامعات مصر ، الم تسمع قط بانتفاضات العمال في حلوان وتونس والمغرب ؟؟!! انه الجيل الجديد يا صاحب « الطواحين » •

وتقلب الصفحات تلو الصفحات في « الطواحين » حتى تعثر على ما هو اكثر سخرية ويستحق الرثاء فعلا ، فلننظر الى ما يقوله عواد عن احد ابطاله :

« ما ابعده عن هذه العبارات الجاهزة التي يلوكها الطلاب ، وتلك الشعارات الجوفاء ، انه لا يؤمن الا بثورة واحدة الثورة على النفس » •

« ازمتنا في ظاهرها سياسية واجتماعية وطائفية ••• الخ ، غير أن هذا كله مغروز في الغيب ، في الهجرة من السماء الى الارض ، في الشك بالله » •

اذن ، اذا كان لا بد من الثورة ، فلتكن – كما يقول عواد – على النفس ، لان الازمة ليست اساسا الا ازمة شك بالله • وهكذا وبكل بساطة ربط صاحب « الطواحين » انتفاضة الطلاب بالغيب ، طالبا منهم ان يثوروا على انفسهم عظيم جدا يا عواد ؟!؟!؟ • ومصاصي دماء الشعب ومستغليه ، كيف تتعامل معهم ؟!!! فلندعهم كما قال سيدك بيار الجميل « ليوم القيامة لان الله لن يغفر لهم » • الثورة لا يمكن ان تكون الا ضد المستغلين المستبدين يا توفيق عواد ، ومحاولتك هذه مكشوفة ورخيصة في آن واحد ، انه السم في الدسم يا صاحب «الطواحين» ولن تستطيع تسميم افكارنا ولا نزع عقائدنا بهذه الاساليب البالية ، فدعك من قضايا « الغيب » و « الشك بالله » و « الثورة على النفس » ، وخيط بغير هالمسله كما يقول المثل العامي •

هذا بعض ما ورد في « طواحين بيروت » عن الجيل الجديد ، وثورة الطلاب والعقائد المستوردة كما يسميها المؤلف ، وما هذا الا القليل القليل مما يحفل به الكتاب من نماذج وآراء ، ولو ان المجال يتسع لاكثر ، لاسهبنا في الشرح والتحليل في « طواحين » عواد •

وعواد ضد الثورة الفلسطينية

اما فيما يتعلق بالقسم الثاني من هذه الدراسة ، الا وهي نظرة المؤلف للعمل الفدائي ، كما جاء في الرواية ، فلقد تقلب عواد بأسلوبه بين النقد المباشر ، واللف والدوران ليخلص بالتالي • الى توجيه اللوم والتهم ، وكان الى الشق الثاني اميل في معظم مواقفه ، اذ انه اضطر اضطرارا للمهاجمة العلنية في بعض المواقف ولنرى على سبيل المثال هذه الفقرة التي يتحدث فيها الكاتب عن « حسين القموعي » احد ابناء « المهدية » ، القرية الجنوبية ، وهذا « حسين » صديق للفدائيين في تلك القرية ، فلنسمعه يقول :

« اما يملأ الضيعة بالخطابات عن الفدائيين وبطولاتهم ، وينعت المختار بالخائن لانه طلب الى قائدهم الابتعاد عن الامكنة الهادئة » •

« ولكن ، ماذا جاء الفدائيون يعملون هنا ، والمهدية تبعد عن « اسرائيل » عشرين كيلو مترا » •

ان نعت كل من لا يتعامل مع الفدائيين بالخائن نغمة قديمة جديدة ، والهدف من ورائها واضح ، الا وهو تشويه صورة الفدائيين باظهار سطحيتهم والمبالغة في ذلك ، كما ان التساؤل عن وجود الفدائيين في امكنة وقرى بعيدة عن الحدود « الاسرائيلية » هدفه الاثارة المبطنة ، والعلنية بعد ذلك ضد هذا التواجد ، والدعوة لمواجهته بطريقة او بأخرى ، لان كل ما يحل بالقرى التي هي على شاكلة المهدية يرده المؤلف لتواجد الفدائيين فيها ، فها هي المهدية تتعرض للقصف مرات ومرات ، ثم تهاجم اخيرا بواسطة القوات المدرعة الاسرائيلية ويجمع اهلها في ساحة البلدة ، ثم ينادي « الاسرائيليون » على الذين يتعاونون مع الفدائيين ويحملوهم بشاحناتهم الى داخل الاراضي المحتلة • ولا ينسى توفيق عواد ان يذكر بهجوم « الاسرائيليين » على مطار بيروت مشيرا الى انه جاء ردا على اختطاف طائرة «اسرائيلية» من اثينا ، قام بالعملية فدائيان انطلقا من مطار بيروت •

• تحريض ، تحريض ، تحريض • ان الفدائيين الذين ما برحوا يتعرضون لعمليات التصفية العسكرية ، التي لا مجال لذكرها الان ، يتعرضون في نفس الوقت لحملة من نوع اخر : تستهدف صورتهم ومسلكيتهم ، تستهدف قيمهم وكل ما يتعلق بهم ، هذه الحملة يقودها بخبث ومكر فئة من الكتاب والادباء الرجعيين المرتبطين مصلحيا مع انظمة الحكم العفنة في المنطقة العربية التي تعمل للقضاء على الثورة وعلى اماني الجماهير المعذبة ، وتطلعاتها ، والا ما معنى ان يتناسى توفيق عواد المجازر التي ارتكبتها السلطات اللبنانية بحق العمال وخاصة الجنوبيين عمال التبغ ، عمال الغندور ، وغيرهم الكثير الكثير • ما معنى ان يذكر عواد بالاعتداءات « الاسرائيلية » على القرى والمدن اللبنانية ؟! ليس الهدف من وراء ذلك يا صاحب « الطواحين » الا محاولة يائسة لبلبة الافكار وقصما لظهر المحبة والالفة والتعاون بين الثورة والجماهير •

لا للجيش ، نعم للفدائيين

وينتقل عواد الى حد التحريض المباشر الصريح ضد الفدائيين فيقول : « بديلا من العراضات التي يقوم بها الفدائيون في شوارع بيروت •••

فقاطعه اخر :

لا جيش ولا فدائيون ، فليعطونا سلاحا لندافع عن ارضنا وارواحنا » • اذن فتشييع الشهداء في بيروت ولا الهتافات والزغاريد والاغاني الثورية ، وعلى اكتاف المقاتلين المتزنرين بالطلقات ، يعتبر في نظر عواد عراضات لا لزوم لها ، كذلك فلا لزوم لوجود الفدائيين في الجنوب ، فليحمل اهل الجنوب السلاح ليدافعوا عن ارضهم وارواحهم • ولكن سؤال واحد نوجهه الى عواد ، ماذا تعرف عن الجنوب والجنوبيين ؟ الا تدرك بأن مصير الجنوبيين اصبح مرتبطا ارتباطا وثيقا بالثورة ، وهم الان يقاتلون جنبا الى جنب مع الفدائيين ضد الغزاة « الاسرائيليين » ؟؟!!! ولتعلم يا عواد بأنه اذا كان (لا) للجيش في الجنوب ، فانه (نعم) للفدائيين هناك •

الفدائي والتصنيفات الثلاثة !!

ويستمر توفيق عواد في تحريضه المباشر ضد الفدائيين ، ويصل الى قمة التحريض ، بل الى قمة الوقاحة فعلا حين يقسم الفدائيين الى ثلاثة اقسام :

« الفدائيون ثلاثة : فدائي فدائي ، وفدائي نصف فدائي ، وفدائي غير فدائي ، الاول هو المقاتل في وطنه ، في ساحة فلسطين نفسها في « اسرائيل » والثاني هو الذي يدنو من الحدود فيطلق رصاصة ، ثم ينسحب الى مخيمه نحو الامان • اما الثالث وهو الفدائي الذي لا يستحق اسمه • فالمتبختر بثوبه المرقط ، وكلاشنكوفه في الشوارع والساحات » •

الحالة واحدة والهدف واحد ، وان اختلفت التسميات ، فقبلك يا توفيق عواد قسم الملك العميل حسين الفدائيين الى فدائي شريف وفدائي غير شريف ، وها انت اليوم تدخل قسما ثالثا الى هذا التصنيف ، ولا نود هنا ان نخوض في جدال مع ابو « الطواحين » في تعريف « الفدائي » انما نود ان نذكره بأن كل من يقاتل في سبيل حقه هو فدائي ، كل من يثور بوجه مستغليه هو فدائي ، سواء كان في فلسطين ام في بيروت ، ام في اثينا ، ام في ميونيخ ، ام اي بقعة من بقاع الارض • كلهم فدائيون يا عواد ، فالذي يحمي اهلنا وشعبنا في المخيمات فدائي ، شئت ام ابيت ، والذي يجتاز الحدود في دورية الى الارض المحتلة فدائي رغم انفك ، والذي يقاوم الاحتلال في فلسطيننا الغالية ، فدائي ، رغم كل دعواتك للتصنيفات التي يلهث بها امثالك من الرجعيين المرتبطين بالصهيونية والامبريالية •

الفدائي ليس ساقطا !

ولعل خاتمة « طواحين بيروت » التي الحق فيها عواد « تميمة منصور » ابنة « المهدية » التي فقدت عفافها في بيروت ، ثم انضمت في خاتمة الرواية الى قوات الفدائيين ، لعل هذه الخاتمة جاءت لتفضح اسلوب الكاتب ، وتدينه ادانة واضحة ، فالفدائيون يا عواد لا يوجد في صفوفهم ساقطون امثال « تميمة منصور » ، وليس الفداء هو مهنة كل من افلس وقطع الامل بكل شيء ، ولا هي محاربة كل القيم والشرائع ، لان عدونا لم يدع لنا وطنا نأوي اليه ، ولان العالم اصم اذنيه عن اصواتنا • ان للفدائيين قيم وشرائع ومبادىء وعقائد سمت عاليا من ان يدركها امثالك يا عواد ، كذلك فان لهم اصدقاء في كل الوطن العربي وفي العالم اجمع ، والكل يعرف هذا بدون شك •

ان رواية « طواحين بيروت » ووضعها بين ايدي طلاب الجامعة اللبنانية للدراسة والتحليل ، ما هو الا حلقة من حلقات الحملة المسعورة التي تشنها اجهزة الانظمة العفنة على الثورة • سواء على الصعيد العسكري ام الاجتماعي ، ام الثقافي ••• الخ ، وما علينا الا ان نتسلح بالوعي الثوري حتى نستطيع مواجهة « طواحين » عواد وغيرها من طواحين الساقطين •

خليل شربده
كلية الاداب

ردود ثقافية

الرفيق نادر وليد •• قصيدتك « هكذا الايام » غير صالحة للنشر ، اقرأ اكثر واكتب قبل ان ترسل نتاجاتك للنشر •

الرفيق محمود صبحه ••لن نستطيع نشر قصيدتيك « لغة الثائر » و « مرثية الابطال » • الاولى لانها عمودية ، ونحن لسنا من دعاة الاستمرار في هذا النوع من الشعر لانه لا يناسب التطور الثقافي العربي عموما ، والثانية لانها كتبت بمناسبة مرت ، ولانها كذلك مليئة بما يسمى الحشو والثرثرة الادبية ••اختصر في عباراتك ، فالمثل القائل : خير الكلام ما قل ودل ، يمكن ان يفيدك ويفيد الكثيرين من الادباء الطالعين • ننتظر ما هو جديد وجيد •

الرفيقة ندوى •• يا رفيقة ندوى وصلت « قصائدك » مني :لصمت ، يوم الارض ، حب يكبر في الاعماق • وخاطرتك « كلهم قتلة » ، وكنا نتمنى لو ننشر شيئا منها للتشجيع ولكن لم نجد ولو مقطعا يمكن نشره • « الشعر صعب وطويل سلمه » يا رفيقتنا وعليك القراءة المستمرة والجادة لشعر الرواد كبدر شاكر السياب والبياتي وصلاح عبد الصبور وايضا محمود درويش وممدوح عدوان وامل دنقل وسعدي يوسف •• وكل ما يقع بين يديك من شعر جيد •• هذه اولى الخطوات في طريق الشعر والكتابة • نتمنى لك الاستمرار في القراءة والكتابة لتستطيعي في النهاية كتابة قصيدة جيدة وبناء مستقبل ادبي جيد •

الرفيقة منى غندور •• قصيدتك « كربلاء التل » بداية جيدة ، سننشرها في العدد القادم • ننتظر نتاجات جديدة •